

الإعجاز القرآني بين مفاتيح الترجمة وضبابية التأويل

طارق بن عيسى

جامعة طاهري محمد

بشار - الجزائر -

benaissatark08000@yahoo.fr

إهتم الدارسون على اختلاف مشاربهم ومناهلهم - عرباً وغرباً- بالقرآن الكريم، ذلك أنه كتاب الله المعجز الذي تحدى البشر قاطبة على أن يأتوا بمثله، لكنهم عجزوا عن ذلك وولوا مدبرين خائبين. وقد احتار الله سبحانه وتعالى لحمل هذه الرسالة السماوية محمداً بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، ليكون بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين.

لقد ولى علماء العربية - قدامى ومحدثين - وجوههم شطر هذا الكتاب، وصّبوا جام اهتمامهم عليه، محاولين الوصول إلى وجوه الإعجاز فيه والتي كانت كفيلة بإخراس فطاحلة الشعر وإبكام جهابذة النثر، فذهبوا في ذلك كل مذهب. ولقد كان للعلماء المسلمين السبق إلى التعريف بهذا الإعجاز القرآني عسى أن يكون باعثاً لغير الناطقين باللسان العربي على الإيمان به. فكانت الترجمة إحدى الوسائل التي انتهجها المسلمون لنقل المعاني الواردة في القرآن الكريم إلى المسلمين غير العرب، وذلك منذ بداية الدعوة الإسلامية. وقد أشارت المراجع الفقهية إلى أن "سلمان الفارسي" عرض على "النبي" "ص" أن يكتب الفاتحة بالفارسية، فلم ينكر عليه الرسول ذلك.⁽¹⁾

أما الغرب فقد أدرك أن القرآن، يشكل الحبل المتين الذي يجمع المسلمين ويقوي عزيمتهم، وسلاحهم القوي ضد أعدائهم. فبحثوا فيه عن نقاط قوته وأسباب عظمته لإبطال فعاليته وذلك بمحاولاتهم التقزيم من قيمته وإفراغه من مضمونه ونفي أصلته، حيث لم تقم ترجماتهم على منهج علمي نزيه، إما لسوء نية وإما لجهل باللسان العربي، ترجمات ركبتها في أحيان كثيرة التصرفُ والحذف والتغيير، وفي مرات أخريات اتسمت بتعليقات شَوْهَاء وسقطات علمية خطيرة.

تأتي هذه الورقة لتعالج حزمة من التساؤلات وتبسط أمام الدارس والمحلل مجموعة من الإشكاليات أهمها: ما الصعاب التي تعافسها ترجمة المصطلحات القرآنية؟ وهل نترجم المصطلحات أم نشرحها؟ وكيف نترجم القرآن الكريم دونما مساسٍ بالدلالة بعيداً عن أدوات "فيني وداريليني"؟ وأين تكمن مساحة تدخل مترجم القرآن في زخم التأويلات والقراءات المختلفة؟ وغيرها هي ما تحاول هذه الورقة إيجاد إجابات لها، مقترحين في دراستنا أمثلة من مصطلحات قرآنية، ميسورة تُسَلِّمُ قيادها في انصياع للقارئ باللسان الفرنسي المستقر، لا فيها توعر ولا اعتياص، مصطلحات تذهب رأساً إلى المتبغى.

يعد اللسان العربي الذي أنزل به القرآن الكريم لساناً سياقياً، ذلك أن معاني المتكلمين به تُفهم من خلال أسبقة التركيب اللغوي. ولذلك نجد أن المعنى في القرآن الكريم لا تحدده اللفظة بمعناها المستقل الذي قد نجده في المعاجم اللغوية. وإنما المعنى في الكثير من الأحيان يحدده سياق التركيب اللغوي ولهذا قيل: إذا أردت أن تعرف المقصود من معاني الآيات فانظر إلى ما قبلها وما بعدها. وهذه تعد إشارة إلى ضرورة فهم المعاني القرآنية من الأسبقة. من ههنا

تكمن صعوبة الترجمة الحرفية للألفاظ القرآنية لأن هذه الحرفية لا تؤدي إلى فهم المعاني المقصودة من الخطاب القرآني. وربما تؤدي إلى خطورة الانحراف عن المعنى المراد لأن القرآن كما قيل حمّال أوجه، ومنذ فترة باكرة جداً ارتبط تأويل القرآن بالخلاف حول المحكّم والمتشابه من جهة، وبالخلافات السياسية والعقدية من جهة أخرى. وإذا كانت العلاقة بين التأويل والمجاز تبدو خافتة جداً في هذه المرحلة الباكرة، فما ذلك إلا لأن مصطلح "المجاز" لم يكن قد تحدد بعد، فضلاً أن يكون قد ظهر على ألسنة المفسرين. وذلك ما يرويه الطبري عن ابن عباس أيضاً من أنه قد "ذكر عنده الخواص وما يلفون عند القرآن قال: يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه".⁽²⁾ ولقد سجل لنا القرآن في سورة آل عمران هذه المحاولات التأويلية بقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.⁽³⁾ يورد الطبري في سبب نزول هذه الآية عدة أقوال: أولهما ما يرويه ابن عباس عن جابر بن رثاب أن معنى "المتشابه" الحروف المقطعة التي في أوائل بعض سور القرآن، من نحو "الم" و"المص"، و"المز" وما أشبه ذلك، لأنهن متشابهات في الألفاظ، وموافقات حروف حساب الجمل. ناهيك فيما يتصل بقضية التوحيد حيث تواجهنا تلك الآيات التي يوهم ظاهرها بمشاهدة الله عز وجل للبشر، وهي تلك الآيات التي تثبت لله وجهاً ويداً وساقاً، إلى جانب تلك الآيات التي تنسب إلى الله العجب والفرح والسرور والأسف والغضب وغيرها من

الانفعالات مما يراها المعتزلة علامات نقص لا تليق بجلال الكمال الإلهي والتنزيه المطلق، وبالتالي لا بد من إخضاعها لسلاح التأويل العقلي الصارم. أما الدارسون الغرب فقد عرفوا التأويل بأنه العلم المساعد للاهوت وربطوه في التاريخ القديم بالنصوص الدينية كعلم تأويلي حيث جاء في تعريف علم التأويل على أنه "الفرع المعرفي الذي يتناول التفسير والتأويل... وكان في الماضي يدور حول النصوص المقدسة".⁽⁴⁾ وأصبح يُعرف من بعدُ "بالتأويلية" التي مؤداها أن النص يحتمل كل التأويلات حتى المتناقضة منها مع ربطها بالتلقي، حيث ركب بعض المثقفين الإسلام اليوم مراكب هؤلاء، فقلدوهم بأن أخذوا مفهوم التأويل الغربي إلى لفظ "التأويلية" و"الهرمينوطيقا" حيناً آخر، كمطية لتحليل القرآن الكريم وقد شاع في العلوم الإسلامية، فصيروا المعنى الغريب أو المهجن الصلات بينه وبين التأويل الإسلامي الذي استعملوه بدعوى أن التأويل ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم نفسه. وقد أمسى لهذا النوع من التضليل إيجاد مناهج تعد احد الأسلحة التي يصح للباحث المسلم اليوم أن تفيده في رد حملات لا تكتفي بنهش أجساد المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالتراث والدين الإسلامي. ولعله مهما تعددت أبواب معاني التأويل؛ فإنه في القرآن الكريم يشكل الانطلاق من الأدوات اللغوية الإسلامية التي يقدمها الخطاب القرآني، إن طبعاً ساسها المترجم بعناية وأحسن إدارتها وتداركها بوسائل تحقق التكافؤ التقريبي. وهو ما من شأنه أن يؤكد بأن مهمة مترجم القرآن الكريم ليست من السهولة كما يظن البعض، فهو جُمرك اللسان العربي والمفسر والمؤول لظاهر الآيات وباطنها بلسان المخاطب إليه. ونحسب فيما نحسب ومما يثني دون مُوازنة أن المترجم مُطالب بأن يكون عالماً باللسانين المنقول منه والمنقول إليه معرفة خيرة

بأسرارهما، وبطرق الأساليب واختلاف الدلالة بحسب الأسلوب في كل من العبريتين، معرفة تشمل العلوم الأساسية في الدين وفهم سليم لها وبخاصة ما تعلق بعلوم القرآن، محكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وعمها ومطلقها ومقيدها وحلالها وحرامها.⁽⁵⁾ ولهذا وجب علينا تشخيص أهم صعاب ترجمة المصطلحات القرآنية التي تتلخص بما يلي:

أ- غياب المصطلح القرآني في اللغة المستهدفة مما يجعل ترجمته أكثر صعوبة. مثلاً: "زكاة" ليست Charité وإنما "صدقة" والتي تكون طوعية. أما الزكاة فمفروضة ولا خيار للمسلم فيها، ولا وجود لها في اللسان الفرنسي. لذا فربما إضافة كلمة مفروضة/الزامية: Obligatoire إلى Charité تجعلها أقرب إلى مفهوم الزكاة في الإسلام. ربما ليس بالإمكان أفضل مما كان. ولكن Charité obligatoire تعتبر متناقضة بالنسبة للقارئ باللسان الفرنسي غير العارف بالعربية، لأنه لا وجود لصدقة مفروضة. فالصدقة دائماً طوعية بالنسبة له، وكذا مفهوم الرق في فضاء الثقافة الإسلامية وبخاصة في مجتمع الرعي الأول كان مجملاً بجملة من الدلالات والإيجازات تختلف عنها في مفهوم الرق أو العبودية في تاريخ الثقافة الأوروبية. ولهذا فإن ترجمة هذه الألفاظ على هذه الشاكلة يفضي إلى الشك بأنها غير المتعارف لديهم ولا تشفي غليل السائل في اللسان المستقر، شأنها شأن المصطلحات القرآنية التي ليست من مفردات الألسن الأجنبية ومفاهيمها، كالجهاد والقيام وغيرها كثير.

ب- تضارب المفردات المعادلة مع المصطلح القرآني، وأوضح مثال على ذلك مشكلة مصطلح تعدد الزوجات حينما نبحث في المعاجم المتخصصة نجد أن هذا المصطلح مترجم خطأً إلى Bigamie أو Polygamie لأن هذين

المصطلحين سلبيان ويستخدمان للتعبير عن جريمة تعدد الزوجات أو الأزواج. وقد ورد في معجم ويبستر الموسوعي طبعة عام 1996 التعريف التالي للمصطلح :Bigamie

The crime of marrying while one has a wife or husband still living, from who no valid divorce has been effected.⁽⁶⁾

باختصار هو جريمة تعدد الزوجات أو الأزواج. ترى هل يقبل أحدنا أن ينعت تعدد الزوجات بالجريمة؟ ومن ناحية أخرى، كيف يستعمل مصطلح في الفرنسية يساوي بين تعدد الزوجات والأزواج؟ إذاً المصطلح مرفوض لسببين قويين لا يمتان بصلة إلى شرعنا الإسلامي ومفهوم تعدد الزوجات عندنا لا يؤم البتة المفهوم الفرنسي polygamie. ورأينا أن إضافة مصطلحات مثل polymariage/multimariage Islamique وإن كانت غير متعارف عليها في الفرنسية أو إضافة légal لمصطلح polygamie يصلح من الأمر وينقل المعنى العام للمصطلح القرآني بمعنى تعدد زوجات إسلامي / شرعي / قانوني. وإذا كان هناك تعارض بين المصطلحين الفرنسيين بالنسبة للفرنسي لأول وهلة، لكنه كفيل بتوضيحه على أنه تعدد شرعي ومشروع.

ج- التطبيع الدلالي l'adaptation sémantique: قد يحدث أثناء الاقتراض أن تتغير دلالات الكلمات المقترضة، لاسيما إذا كانت اللغات التي تتبادل مُتباعدة المنشأ والسلالة، ولعلنا نسوقُ ههنا من بين أمثلة كثيرة، المفردة "فقير" الموجودة في الفرنسية بهذا اللفظ تماما "fakir"، وهي إشارة إلى أحد أفراد جماعة دينية إسلامية أو هندوسية كما تقول مراجع اللغة الفرنسية المعتمدة، في حين أن اللفظة لا تُحْيَلُ في العربية إلا على معنى بسيط قار في المعاجم هو المحتاج أو المسكين، ولذلك فإن اللفظة تفقدُ أحيانا دلالتها الأصلية نتيجة تقلبها

وتطورها في اللسان الذي نُقِلَ إليه. لذا لا بد للمتترجم من توخي الحذر والدقة عند وجود مثل هذه الألفاظ.

المفاتيح المقترحة لترجمة المصطلحات القرآنية:

تتناول هذه المفاتيح كيفية التعامل مع ترجمة المصطلح القرآني، والطريقة أو الطرق المتوخاة إتباعها في ذلك. إنها عبارة أخرى للحلول المقترحة للتغلب على مشاكل ترجمة المصطلحات القرآنية، وهي مرتبة حسب الأفضلية وحسب توفرها وإمكانية تطبيقها:

1. المرادف المباشر: صلاة *prière*، عبادة *culte*، صيام *jeûne*، وما شابهها.

2. المرادف المباشر + مصنف / لفظة شارحة: هذه اللفظة موضحة لنوع الكلمة التي تصنفها نظراً لاحتمال عدم وضوحها للقارئ بلسان الفرنسي ونضرب مثلاً في ما نذهب إليه: صوم رمضان *le jeûne en mois du Ramadan* أضيفت ههنا لفظة "شهر" لتعضد بيان رمضان.

3. الشرح: حينما لا يوجد مرادف مباشر أو غير مباشر للمصطلح القرآني، ولا تجدي الحرفية ولا المصنف نفعاً، يستأثر المترجم الشرح المقتضب ما أمكن. بأن يعزز اللفظة بموامش مشفوعة بشرح في شكل تذييل ملاحظة أو حاشية تُعرف في حقل الترجمة "بملاحظة المترجم NDT Note de traducteur"⁽⁷⁾

4. الرسم اللفظي مع الشرح: يمكن في حال الغياب الكامل للمصطلح القرآني في اللغة المستهدفة، أن يلجأ المترجم وكحل أخير إلى رسمه تماماً كما يلفظ

في اللسان العربي بأحرف لاتينية (ما أصطلح عليه باللسان الفرنسي translittération)، ثم يشرحه باللسان الأجنبي، مثال: الكعبة
Kaaba, Ka'ba: C'est l'édifice cubique (du centre de la Mecque)
vers lequel s'orientent les musulmans dans leurs prières et où est
scellé la pierre noire sacrée.⁽⁸⁾

وهذه الطريقة في الترجمة المطلوبة والفضلى.

5. عدم الجمع بين السور والآيات القرآنية المكتوبة باللسان العربي وبين
الترجمات التفسيرية في صفحة واحدة خشية عدم المحافظة على قدسية القرآن
الكريم وحرمة، والاكتفاء بطبع الترجمة التفسيرية مشفوعة بالأصل (التفسير
العربي) المعتمد.

الخاتمة:

وتأسيساً على ما قدمنا نخلص أن هذه المفاتيح المقترحة لترجمة
المصطلحات القرآنية هي في الوقت ذاته مراحل ترجمتها وخطوات يمكن للمترجم
أن يتبعها حسب ترتيبها ووفقاً لأفضليتها. لكن لا بد من أخذ طبيعة الترجمة
المطلوبة له بعين الاعتبار، فالترجمة المقتضبة للقرآن الكريم والمقتصرة على الترادف
المباشر لمعانيه، تقتضي إتباع هذه المراحل بدقة. أما الترجمة التفسيرية المطولة
لكتاب الله تعالى فرمما تعطي أولوية للترجمة الحرفية المباشرة المذيلة بالشرح وللرسم
اللفظي مع الشرح الموسع أو المقتضب. وإذا كان من البديهي أن تأويل ما في
ثنايا باطن القرآن الكريم من فهم فإنه - لا محالة - إلا غيضٌ من فيض وقطرة من
بحر خضم لا ينتهي مداه ولا ينضب معينه ولا يخلق من كثرة الرد.

الإعجاز القرآني بين مفاتيح الترجمة وضبابية التأويل

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو أن هدانا الله وعلى
الجميع سلام الله.

هوامش:

- 1- ينظر: أكمل الدين إحسان أوغلي، كتاب الأصلة، ملتقى القرآن الكريم،
ج2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص203.
- 2- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد
شاکر، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص333.
- 3- سورة آل عمران، آية 7.
- 4- نقلا عن مجلة ألف (الهيرمينوطيقا والتأويل)، الجلاي الكدية، الترجمة بين
التأويل والتلقي، الترجمة والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بالبواط، جامعة محمد الخامس، رقم 17، 1995، ص52.
- 5- نجدة رمضان، ترجمة القرآن الكريم وأثرها في معانيه، دار المحبة، القاهرة،
1998، ص355.
- 6- GRAMSKI BOSKY Webster, Encyclopedia English language, N.y, 1996, P.231.
- 7- PERRIN Isabelle, l'Anglais: comment traduire, Hachette,
Paris, 2000, P.74.
- 8- BENHAMOUDA Boualem, Mots français d'origine arabe,
dar El Oumma, Alger, 1999, P.118.

مكتبة البحث:

أولاً: باللسان العربي:

- أكمل الدين إحسان أوغلي، كتاب الأصالة، ملتقى القرآن الكريم، ج2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1981.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1971.
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط. الثانية، 1973.
- الحارث المحاسبي، العقل، فهم القرآن، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، 1971.
- عبد الجبار آبادي، متشابه القرآن، تحقيق: عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، 1966.
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط7، القاهرة، 1964.
- نبذة رمضان، ترجمة القرآن الكريم وأثرها في معانيه، دار المحبة، القاهرة، 1998.
- محمد رواس قلعه وحامد صادق وقطب مصطفى، معجم لغة الفقهاء: عربي-إنجليزي-فرنسي، دار النفائس الرياض، 1996.
- عبد الله يوسف علي، معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، دار تاهما، لندن، 1934.
- حسن غزالة، مقالات في الترجمة والأسلوبية، دار العلم للملايين، بيروت، 2004.

الإعجاز القرآني بين مفاتيح الترجمة وضبابية التأويل

- الجلالي الكدية، الترجمة بين التأويل والتلقي، الترجمة والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، رقم 17، 1995.

ثانياً: باللسان الأجنبي:

- BENHAMOUDA Boualem, Mots français d'origine arabe, dar El Oumma, Alger, 1999.
- GRAMSKI BOSKY Webster, Encyclopedia English language, N.y, 1996.
- LEDERER Marianne, Implicite et explicite, Interpréter pour traduire, Didier Erudition, Paris, 1984.
- PAUL Robert, Le Petit Robert, Paris, 1982.
- PERGNIER Maurice, L'ambiguïté de l'ambiguïté, Etudes traductologiques, Lettres Modernes, Paris, 1990.
- PERRIN Isabelle, l'Anglais: comment traduire, Hachette, Paris, 2000.